خـواطـر اقـتـصـاديـة
مـن خـطـبـة حـجـة الـــوداع

إعداد

دكـتـور حسين حـسـيـن شـحـاتـة
الأستاذ بجامعة الأزهر

لقد ألقى رسـول اللّه صـلى اللّه عليه وسـلم فى حجة الوداع التى أتى إليها الألوف المؤلفة من المسـلمين ليحجوا معه خطبة شـاملة جامعة تتضـمن الدروس والعبر الأخلاقية والاجتماعية والسـياسـية والاقتصادية ، سـوف نركز على ما ورد بها من جوانب اقتصـادية لنسـتنبط منها بعض أسـس الاقتصـاد الإسـلامى ولنوضح للناس أن الإسلام نظام شامل ومنهج حياة شعائر وشرائع ، عبادات ومعاملات ، يوازن بين الروحانيات والماديات فى إطار متوازن بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر .

١ـ تحريم الاعتداء على المال :

قـال رسـول اللّه صـلى اللّه عليه وسـلم فى خطبة حجة الوداع : ((**يا أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شـهركم هذا وإنكم سـتلقون ربكم فيسـألكم عن أعمالكم ، وقد بلّغت**)) فيؤكد رسـول اللّه صـلى اللّه عليه وسـلم على حماية المال والمحافظة عليه وتحريم الاعتداء عليه سـواء من الأفراد أو من الحكومات لأن المال هو قوام الاقتصـاد والحياة فإذا تم الاعتداء عليه هرب من مجال النشـاط الاقتصـادى وتعطلت الأعمال ، وحدث الخلل بين دروب الحياة الاقتصـادية وفى هذا تأكيدٌ على وجود الملكية الخاصـة للمال فى النظام الاقتصـادى الإسلامى .

٢ـ المساءلة عن الأعمال ومنها المالية :

يوضـح الرسـول أن كل مسـلم سـوف يلقى اللّه عز وجل وسـوف يسأله عن أعماله ، ومنها المعاملات المالية فيقول : ((**وإنكم سـتلقون ربكم فيسـألكم عن أعمالكم**)) ويزيد هذا الأمر وضـوحا قول الرسول صـلى اللّه عليه وسـلم فى مقام آخر ((**لن تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يُسـأل عن أربع : منها عن ماله من أين اكتسـبه وفيم أنفقه**)) وبهذا يتضـح أهمية قاعدة (محاسـبة المسـئولية) سـواء فى الدنيا بواسطة الفرد أو بواسـطة الغير أو فى الآخرة عندما يقف الفرد أمام اللّه عز وجل للمحاسـبة والجزاء يوم تجد كل نفس ما عملت من خيرٍ مُحضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣ـ تأدية الأمانة :

ورد فى خطبة حجة الوداع أيضا قول الرسول صلى اللّه عليه وسلم ((**فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها**)) وفى هذا تأكيد على أهمية رد الأمانات وترسيخ الائتمان فى مجال المعاملات الاقتصادية فلا اقتصاد بلا أمانة ، ولقد ورد فى الحديث ((**إن التاجر الصدوق الأمين يُحشر مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة**))

٤ ـ تحريم الربا بكافة صوره :

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أيضا فى هذه الخطبة : ((**وإن كل رباً موضوع ولكن لكم رؤوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون قضى اللّه أنه لا ربا ، وأن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله**))

لقد وضّح الرسول فى هذه الخطبة وهى آخر خطبة له آخر أيامه أن الربا مُحرم تحريما قطعيا وأعطى نموذجا عمليا وهو المعاملات الربوية التى كان يقوم بها عمه العباس بن عبد المطلب ... وذكر الرسول لفظ ((**موضوع كله**)) للشمولية والعموم حتى لا تكون هناك ثغرة ينفذ منها ذوى النفوس الضعيفة .

وليس هذا المقام لبيان الآثار السيئة للربا على الاقتصاد ولكن لنوضح لبعضٍ من الناس يزعمون جهلا وتجاهلا أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قد مات ولم يحسم قضية الربا .

٥ـ ضوابط اقتصادية من خطبة الوداع :

تعتبر الأوامر السابقة من مقومات الاقتصاد الإسلامى وهى التى تحقق للمجتمع الاستقرار والأمن والنمو وتحقق للأفراد الحياة الرغدة فى الدنيا والفوز برضاء اللّه فى الآخرة ، فلا يمكن أن يكون هناك اقتصاد ينمو دون أن يكون المال فى أمن ، فالمال المهدد بالمصادرة والابتزاز والسرقة والاعتداء عليه لا يمكن أن يؤدى دوره فى التنمية ، كما أن إدارة الأموال بدون مُساءلة أو رقابة أو ضبط يؤدى إلى السرقة أو الاختلاس أو إنفاق فى غير الضروريات والحاجيات بل ربما يُوَجّه إلى إشباع الرغبات الشيطانية وهذا يسبب الفساد وعدم الاستقرار .

كما أن الخيانة وعدم الوفاء بالوعود والعهود يسبب تعطل المعاملات ، فالتاجر الصادق الأمين السموح القوى الفقيه له دور فى تحقيق الرخاء الاقتصادى ، ويرحم اللّه التاجر السمح إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى .

وتعتبر المعاملات الربوية السائدة هى أساس من أسس ارتفاع الأسعار والتضخم والبطالة ولقد أكد على ذلك علماء الاقتصاد الوضعى أنفسهم .

ألم يأن لأولى أمر المسلمين أن يمنعوا المعاملات الربوية التى سببت المحق وأن يطبقوا هدى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم حتى يعيش الناس فى أمن وأمان ورخاء واستقرار ؟!

تؤكد الخواطر السابقة أن الإسلام دين شامل لكل نواحى الحياة فيه اقتصاد وسياسة وحكم ، وخطأ ما يُشاع جهلا أو تجاهلا بأن الإسلام دين عبادات فقط ولا دخل له بنواحى الحياة الأخرى .

ففى فريضة الحج وهى شعيرة تعبدية كما يعتقد البعض نجد أن الرسول صلى اللّه عليه وسلم قد تعرض فيها لمجموعة من الضوابط الاقتصادية ليعلن للعالم من أكبر مؤتمر إسلامى للمسلمين أن الإسلام منهج حياة وهو دين ودولة ، ويجب على الحكومة أن تتخذ من الدين سندا لها فى إدارة شئون الدولة الاقتصادية والمالية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويؤكد هذا المعنى الهام فى أنه كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا فى الجاهلية فتأثموا أن يتجروا فى موسم الحج فنزل قول الله تعالى : ﴿ **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم** ﴾ وفى هذا قال المفسرون : (**ليس هناك حرج شرعى فى مباشرة المعاملات الاقتصادية فى موسم الحج**) ، وبذلك تمتزج العبادات بالمعاملات.

ندعو الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الخواطر الاقتصادية دستورا نلتزم به فى جميع أمورنا
والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com